الدولة الفاطمية

أصل الشيعة الفاطمية:

قامت الدولة الفاطمية على المذهب الإسماعيلى الشيعى القائل بالنص والتعيين، ويقصرون خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم الروحية والزمنية على ذرية الإمام «علي» – رضى الله عنه -مستندين فى ذلك إلى حديث «غدير خم» الشهير، وقد لجأت الإسماعيلية بعد وفاة إمامهم «إسماعيل بن جعفر» إلى الاختفاء والعمل السرى، فقد افترق أشياع «جعفر الصادق» بعد وفاته إلى فرقتين، ولت الأولى ابنه «موسى الكاظم» إمامًا، وولت الثانية ابنه «إسماعيل» إمامًا، فعُرِفَت الفرقة الأولى بالإمامية أو الاثنا عشرية؛ لأنها سلسلت الإمامة حتى الإمام الثانى عشر »محمد» الملقب بالمهدى المنتظر ابن الحسن العسكرى ابن على الهادى ابن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم، وعُرفت الفرقة الثانية بالإمامية الإسماعيلية؛ لأنهم أبقوا الإمامة فى ذرية »إسماعيل بن جعفر»، ثم من بعده ابنه «محمد»، فابنه «جعفر الصادق»، فابنه «محمد الحبيب»، فابنه «عبيدالله المهدى» مؤسس الدولة الفاطمية

لدولة الفاطمية بالمغرب

296-362]هـ = 908 - 973م[

قامت «الدولة الفاطمية» ببلاد «المغرب» – وفق خطة مرسومة من قِبل دعاة الشيعة – على أكتاف قبيلة «كتامة»، التى تنتمى إلى بربر «البرانس«، وتميزت عن غيرها من القبائل بكثرة عددها، ومنعة منطقة سكناها بجبال «الأوراس» بين مدينتى «بجاية» و«قسنطينة«، فضلا عن عدم خضوعها لسلطة الولاة اعتزازًا بمنعتها وقوة بأسها. وقد وقف زعماء الشيعة على ما اتصفت به هذه القبيلة، واختار «ابن حوشب» رئيس مركز الدعوة الشيعية باليمن «أبا عبدالله الحسين بن أحمد الشيعى «للاتصال بوفد «كتامة» بموسم الحج، لنشر الدعوة الشيعية بالمغرب، وإقامة الدولة المرتقبة هناك. وقد تم لقاء «أبى عبدالله» بوفد «كتامة» بمكة، وجعله هذا الشيعى يبدو كأنه جاء مصادفة، وبدأ يتعرَّف أحوالهم وميولهم المذهبية، ولم يفصح عما أضمره وما جاء من أجله، ونجح فى استمالتهم والسيطرة على قلوبهم بمكره ودهائه وعلمه وجدله، ثم تظاهر بعد انقضاء موسم الحج برغبته فى السفر معهم إلى «مصر»، للتدريس لأبنائها، فاصطحبوه معهم، فلما وصلوها، ألحوا عليه بمصاحبتهم إلى بلادهم، فوافقهم، وذهب معهم إلى المغرب فى سنة 289هـ= 902م ، واتخذ من «إيكجان» مستقرا له، لأنها نقطة التقاء حجاج «الأندلس» و«المغرب الأقصى»، والمتوجهين لأداء فريضة الحج. وبدأ «أبو عبدالله» فى تنفيذ خطته، وتظاهر بتعليم الصبية، وإلقاء دروسه عليهم، فزاده ذلك مكانة ومنزلة بين أبناء »كتامة»، وذاع صيته بين القبائل، وقصده البربر من أماكن متفرقة، لينهلوا من علمه،

ويستفيدوا من نصائحه، ثم عمد «أبو عبدالله» إلى مصارحة بعضهم – بعد أن اطمأن إليهم– بحقيقة أمره، ورغبته فى إقامة دولة لآل البيت تقوم على أكتاف قبيلة «كتامة»، لأن الروايات –كما ادَّعى لهم – جاءت بذلك، وأخبرت عما ينتظرهم من عز الدنيا وثواب الآخرة. وأخذ «أبو عبدالله» على عاتقه تنظيم صفوف أبناء «كتامة» وبعض أبناء القبائل الأخرى، وقسَّمهم إلى سبعة أقسام، وجعل على رأس كل قسم منها داعية يطمئن إليه، فاستطاع بهذا الأسلوب العملى إقامة مجتمع يدين بفكرة واحدة؛ هى إقامة الدولة المثالية التى يحكمها إمام من آل البيت. وقد اتخذ «أبو عبدالله الشيعى» من أبناء «كتامة» جندًا يدافعون عن الدعوة، ويهاجمون القوى السياسية الموجودة بالمنطقة، وهى: «الأغالبة» بالمغرب الأدنى، و«الرستميون» بالمغرب الأوسط، و«بنو مدرار» بسجلماسة بجنوب »المغرب الأقصى» وبقايا «الأدارسة» بمدن «المغرب الأقصى»، وترتَّب على ذلك دخول «أبى عبدالله الشيعى» فى عدة معارك مع هذه القوى، كانت أشهرها معركة «كنيونة»، التى انتصر فيها على «الأغالبة» فى سنة 293هـ906 =م ، ثم توالت انتصاراته بعد ذلك، ودخل مدينة «رقادة» وقضى على نفوذ «الأغالبة»، ثم دعا «المهدى الفاطمى» إلى «المغرب» لتسلم مقاليد الأمور؛ فلبى الدعوة، وتخفَّى فى زى التجار حتى لا يقع فى قبضة العباسيين، ودخل مدينة «رقادة» فى سنة 297هـ= 909م ، ثم بويع بالإمامة.

الخلفاء الفاطميون بالمغرب:

حكم أربعة خلفاء فاطميين بلاد «المغرب» فى الفترة من سنة 297هـ=909م إلى سنة 365هـ= 975م ، وكان «المعز لدين الله الفاطمى» هو آخر هؤلاء الخلفاء، حيث انتقل بالخلافة إلى »القاهرة» التى اتخذها عاصمة جديدة للفاطميين، بعد أن تم له فتح «مصر «على يد قائده «جوهر الصقلى» فى سنة 358هـ= 969م ،

والخلفاء الأربعة هم:

- 1المهدى: عبيد الله أبو محمد [297 – 322هـ= 909–934م - 3 .[المنصور: إسماعيل أبو طاهر [334 – 341هـ= 945 – 952م.]

- 2القائم: محمد أبو القاسم [322 – 334 هـ = 934– 945م - 4 . [المعز: معدّ أبو تميم [341 – 365 هـ = 952 – 975م،

بعض المشكلات الداخلية:

حين قدم «المهدى» إلى بلاد «المغرب»، وجد أن داعيته «أبا عبدالله الشيعى «قد استحوذ على قلوب الناس فيها، وأصبح ذا نفوذ وسلطة كبيرين بالمنطقة، فأراد «المهدى» أن يحد من سلطاته ونفوذه، فأنقلب عليه »أبو عبدالله» وتآمر ضده، وجمع زعماء «كتامة» وأخبرهم بتشككه فى شخص »المهدى» وأنه ربما يكون شخصًا آخر غير الذى دعا إليه، فبلغ هذا الأمر »المهدى»، فتخلص منه بالقتل، فسخط الكتاميون وثاروا، وأتوا بطفل

صغير وقالوا: إنه «المهدى»، فحاربهم «المهدى الفاطمى» وقتل هذا الطفل. ثم تعرضت »المغرب» فى عهد «القائم بالله» وابنه «أبى العباس» من بعده لثورة «أبى يزيد مخلد بن كيداد اليغرنى»، الذى ينتمى إلى قبيلة «يغرن» الزناتية، ، ثم اتصل بالإباضية، ومن ثَم هاجم ما استحدثه المذهب الشيعى على المجتمع المغربى، واجتمع الناس حوله، ورحل إلى «جبل أوراس» عقب وفاة المهدى فانضمت إليه جموع القبائل، فقام بثورته واستولى على العديد من المدن، واستغرقت ثورته نحو أربعة عشر عامًا، فشملت عهد «القائم بالله» كله، وعامين من عهد «أبى العباس»، الذى تصدى لها وتمكن من القضاء عليها وعلى زعيمها «أبى يزيد»، وسجل انتصاره هذا بإنشاء مدينة «المنصورية» فى سنة 337هـ.

العلاقات الخارجية:

قام الفاطميون بحملات متكررة على «مصر» للاستيلاء عليها، ففشلت جميعها، إلا حملة «جوهر الصقلى» الذى نجح فى دخول «مصر» فى

سنة 358هـ=969م ثم أسس بها مدينة «القاهرة»؛ لتصبح عاصمة الفاطميين، فانتقلت إليها الأسرة الفاطمية ، وباتت «القاهرة«

عاصمتهم حتى سقوط دولتهم. وقد سعى الفاطميون إلى بسط نفوذهم على بلاد الأندلس ، بالدعوة تارة، وبالحروب أخرى، ولكن جهودهم ضاعت هباءً، ولم تجد دعوتهم صدى فى نفوس الأندلسيين من أهل السنة، فضلا عن أن حكام الأندلس وقفوا لهم بالمرصاد وحصنوا بلادهم، وعززوا أسطولهم، فتراجع الفاطميون عن ذلك، واتجهوا إلى «مصر». واستهدف الفاطميون من اتخاذ «مصر» قاعدة لحكمهم تحقيق الأمن والاستقرار لوجودهم، خاصة بعد أن اشتعلت فى وجوههم الثورات الخطيرة التى كادت تودى بكيانهم على أرض «المغرب»، فضلا عن أملهم فى تحقيق أهداف سياسية واقتصادية فى «مصر»؛ إذ إنها بموقعها وثرواتها وإمكاناتها تحقق لهم ما يريدون من مال وثروات وازدهار اقتصادى، كما أن الاستيلاء عليها يعد ضربة قاصمة للعباسيين الذين قتلوا كثيرًا من أبناء البيت العلوى ولذا أرادوا الانتقام منهم والثأر لأنفسهم.

النشاط المذهبى للفاطميين ببلاد المغرب:

شهدت المنطقة طوال عهود الخلفاء الفاطميين فى المغرب صراعًا مذهبيا بين المالكية – غالبية أهل السنة – وبين الشيعة، الذين استخدموا كل الوسائل الممكنة، لنشر مذهبهم وطمس معالم المذاهب الأخرى، وجعلوا الوظائف قاصرة على الشيعة، واستبدلوا قواعد مذهبهم بأحكام المذهب السنى، وعقدوا المجالس والمناظرات لإقناع أهل البلاد بصحة مبادئهم، ثم لجئوا إلى العنف والرعب والاضطهاد حين فشلت وسائلهم فى إدخال سكان البلاد فى مذهبهم، ففشلت هذه الوسائل أيضًا، حتى عاد المذهب السنى مذهبًا رسمياً للبلاد فى عهد «المعز ابن باديس.«